مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

شرح
الزيارة الجامعة الكبيرة

عبدُ الحليم الغِـزّي

منشـورات موقع زهرائيّـون

شرح الزيارة الجامعة الكبيرة

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في ثلاثين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 10 / 06 / 2010

يـــا زهـــــراء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمْدُ للهِ والصّلاة عَلىَ رَسولِ الله وآلِهِ آلِ الله

واللَّعْنُ على أعدائِهم وأَعْدَاء شِيعَتِهم أَعْدَاء الله إلى يَومِ لقاءِ الله

الحلقة الحادية عشر

معنى وَقادَةَ الأُمَمِ وأَوْلِياءَ النِّعَمِ

السَّلامُ عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، هذه الحلقة الحادية بعد العاشرة من برنامجنا الزيارةُ الجامعةُ الكبيرة، لازلت أقرأُ الزيارة من كتاب مفاتيح الجنان لشيخنا المُحَدِّث القُمي رضوان الله تعالى عليه، مَرَّ علينا في الحلقات الماضية قَولُهُ صلوات الله وسلامه عليه، أعني إمامنا الهادي: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلمِ، وَمُنْتَهَى الحلم، وَأُصُولَ الْكَرَمِ**، كلامُنا في الحلقة الماضية وصل إلى هنا. اليوم أتناول عنواناً جديداً من عناوين الزيارة الجامعة الكبيرة: **وَقادَةَ الأُمَمِ**، هناك عنوانٌ يأتي بعده: **وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ**، وهنا يوجدُ تَعانُقٌ وتوافقٌ واتساقٌ وارتباطٌ بين هذين العنوانين سيتضح ذلك من خلال ما أورده من نصوص وما أبينه من مطالب، في هذه الحلقة نقفُ في أجواء قولِ الزيارة الجامعة الكبيرة: **وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ**.

قادة الأمم القادةُ هي جمعٌ لقائد، والقائدُ هو الذي يقودُ المُقاد، وعملية القيادة هي عملية جذب وعملية جر وعملية سحب، القائد حينما يقودُ شيئاً إن كان إنساناً أو إن كان دابةً من الدواب فإنما يجره خلفه، إذا كان المَقود إنساناً فإن الإنسان قطعاً لا يُربَط بحبل وإنما الرباط يكون رباطاً معنوياً، يكونُ رباطاً عقائدياً ربما، رباطاً رحمياً ربما، رباطاً قانونياً سلطوياً، هناك نوعٌ من الرباط بين القائد وبين المُقاد إذا كان المُقاد إنساناً، أما إذا كان المُقاد حيواناً فالمتعارفُ والمُعتادُ أن يُربَطَ بحبل، أن يُربَط بزمام، والقائدُ يقود الناقة إذا قادها من زمامها، بالنتيجة القائدُ هو الذي يصدرُ منه فعلُ الجذب، فعلُ السحب، فعلُ الجر، والمَقودُ هو الذي يتبع القائد، فالقيادةُ تطلقُ على العلاقة فيما بين القائد والمُقاد، وقد نطلقُ أيضاً القيادةُ على نفس القائد، قد تطلقُ على المَلَكَة والقدرة التي يمتلكها القائد لقيادة غيره – **وَقادَةَ الأُمَمِ** – هذا معنى القادة ومعنى القيادة بشكلٍ مجمل كما وقع في كلام العرب.

الأمم جمعٌ لأُمَّة والأُمَّة بنحوٍ عام هي المجموعة، مجموعة من البشر أو مجموعة من غير البشر، فالقرآنُ أستعمل هذا العنوان حتى في الحيوانات، جاء في الكتاب الكريم في سورة الأنعام في الآية الثامنة والثلاثين ﴿ **وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم** ﴾ الدابة تُطلقُ على كل ما يدبُ على

الأرض، من الحشرات، من الديدانِ، من الهوامِ، من الطيور أيضاً، من الحيوانات وحتى من البشر، كلُ ما يدبُ على الأرض، لكن الكلام هنا جاء استعمال الدابة في الحيوانات لأن الآية تقول:

﴿إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ يعني هناك تشبيه بين أمم الحيوانات وأمم الطيور وبين أمم الإنسان، إذاً المُراد من الدابة هنا الحيوانات وإن كان يمكن إطلاقها على الإنسان لأنه يدبُ على الأرض ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ إذاً هذه الحيوانات وهذه الطيور هي أُمَمٌ وبعد ذلك تُحشر الآية صريحة ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ الحديث هنا عن الطائر الذي يطير بجناحيه، لماذا هذا التشخيص؟ لأنه توجد هناك أنواع من الطيور أشكالها أشكال الطيور وهي محسوبة في عداد الطيور إلا أنها لا تطير، النعامةُ مثلاً، وغير ذلك من الدواجن التي تُربى في البيوت ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ إذاً تلكم الطيور داخله تحت عنوان الدابة ﴿إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ كل شيءٍ إنما هو تحت دائرة التنظيم تحت دائرة التقنين ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ فإذاً هناك أُمم وهناك حشر وهذا تشابهٌ واضحٌ وأكيدٌ بين الحيوانات وبين الطيور وبين الإنسان، ما المراد من الأُمَّة؟!

الأُمَّة مجموعة قد تكون من الناس قد تكون من الطيور قد تكون من الحيوانات كما هو في التعبير القرآني، هذه الأُمَّة تتشابه فيما بينها، إذا كانت في الحيوانات تتشابه في غرائزها في طباعها في منافعها في مضارها إلى غير ذلك، وإذا كانت في الإنسان هناك توافق في الأهداف في الآمال في الطموحات في المصالح وفي المنافع وفي المضار أيضاً وفي التفكير وفي أنحاء مختلفة من أنحاء الحياة، ولكل أُمَّة هناك من يقودها وهذه قضيةٌ طبيعية، حينما تقول أُمَّة الأُمَّةُ بحاجةٍ إلى قيادة وهذه قضيةٌ ضرورية، قطعاً هناك القيادات العرفية، القيادات الاجتماعية، القيادات الدينية، القيادات السياسية هذه موجودة عبر التأريخ، لكن الزيارة هنا تتحدث عن نحوٍ من أنحاء القيادة ليس هي هذه القيادة السطحية، تتحدث عن نحوٍ من أنحاء القيادة العميقة جداً ولذلك قلت هناك ترابط، هناك تواثق، هناك توافق بين هذين العنوانين: **وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ**، قيادتهم منشأها وجذرها من كونهم يملكون ولاية النعم – **وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ** – وإنما هم قادةٌ لكل هذه الأُمم التي جاءت في الكتاب الكريم.

النبي صلى الله عليه وآله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ والعالَمون هذا العنوان ليس محصوراً في الأرض

فقط وإنما في كل ما خلق الله، والذين في الأرض ليس الكلامُ محصوراً في الإنس فقط، هناك الجن وهناك الحيوانات هذه الأمم ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ لماذا يحشرون؟! هناك حساب، كيف يكون الحساب مع هذه الطيور مع هذه الحيوانات، كيف يكون الحساب؟! القرآن صريح، نحن حينما نذهبُ مثلاً إلى سورة التكوير ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ متى تُكوّر الشمس؟ هي من علامات يوم القيامة ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ هذه أوصاف يوم القيامة ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ هناك إذاً حشر، الوحوش هم غير الآدميين، يعني من الحيوانات، من الطيور، هذه الأمم التي جاء ذكرها في سورة الأنعام ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ هذا الحشر الذي جاء مذكوراً في سورة الأنعام هو نفسه الذي جاء مذكوراً في سورة التكوير ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ لماذا تُحشر؟ الأُمم تُحشر، هناك قانون، وهناك قائدٌ لهذا القانون، سورة فاطر الآية الرابعة والعشرون، ماذا تقول؟

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ الخطاب لِمن؟! للنبي الأعظم ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ – يعني ولا توجد أُمَّة – إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ وبحسب التعبير القرآني ﴿إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ ويحشرون، يعني هذه الحيوانات، هذه الطيور أممٌ أمثالنا ثم إلى ربهم يُحشرون، الحشرُ للحساب، الحساب لا يكون إلا بوجود قانون وبوجود مشرف على هذا القانون، بوجود قائد، لابد من وجود قيادة، الآية هنا تقول: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ يعني إلا كان فيها نذير، وقطعاً كُلُّ أُمَّة يكون النذير بحسبها، لو أردنا أن نستمر في قراءة آيات سورة فاطر نجد أن السورة تُقَرِّبنا من هذه الأجواء، القرآن فيه أساليب، القرآن فيه أساليب الإيحاء، فيه أساليب التلقين، فيه أساليب الدفع للتفكير، فيه أساليب الإثارة، هناك أنحاء مختلفة من الأساليب في الكتاب الكريم، الآية السابعة والعشرون وما بعدها من نفس السورة من سورة فاطر هذه الآية ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ الآية الرابعة والعشرون، الآية السابعة والعشرون، الثامنة والعشرون ﴿أَلَم تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيض

﴿وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ – الحديث في هذا الجو – ﴿كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾ هناك جو تريد هذه الآيات أن تثيره، جو تريد هذه الآيات أن تشير إليه وهو أن هذه الأمم من الحيوانات، هذه الأمم في نظامها تتناغم مع الأمم البشرية، ولذلك في زمان ظهور إمامنا صلوات الله وسلامه عليه النظام الأُممي لهذه الحيوانات سيتغير، وما جاء في الروايات من إشاراتٍ إلى أن الذئب والشاة معاً يأكلان في الحقل في المراعي وغير ذلك، وأن الصبيان تلعبُ بالأفاعي والحيات ولا يضرها شيء، كلُ ذلك يشير إلى أن المنظومة الأُممية لهذه الحيوانات هي أيضاً ستتغير، لأن هذه الأُمم أيضاً محكومة بقادة، وبرنامج القيادة سيتغير عند ظهور الإمام صلوات الله وسلامه عليه.

وأنا لا أريد أن أدخل في كل هذه التفاصيل وفي كل هذه الجزئيات فقط أشير إشارات، إذاً حين نخاطب الأئمة – **وَقَادَةَ الْأُمَمِ** – هم قادة لكل الأمم، إذا كانوا قادةً لهذه الأمم من الحيوانات ومن الطيور فهم من باب الأولى هم قادة الأمم من البشر ومن الجن ومن الملائكة ومن كل ما خلق الله ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ وهذا هو معنى ﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ هي أمم تُحشر لها نُذر إذاً هي في دائرة القيادة وستتغير أنظمتها حين الظهور الشريف، حينما تعيش السباع في الحقول وترعى في الحقول، وقد حدثتنا الروايات عن تفاصيل أكثر عن طبائع الحيوانات في زمان ظهور إمامنا صلوات الله وسلامه عليه.

الآن تحققت لنا صورة مُجملة لمعنى: **قَادَةَ الْأُمَمِ**، هم قادة الأمم، هذا المعنى المعنى المجمل، هم قادةٌ لكل هذه الأمم، وهذه الأمم من دون قيادتهم ينفرط عقدها، الحديث هنا ليس عن القيادة السياسية، القيادة السياسية هي مظهر من مظاهر قيادتهم للأمم لكنها في أسفل السلم، قيادتهم للأمم أولاً هم قادةٌ في عالم الهداية والهدايةُ على مراتب، هناك الهداية التكوينية فهم قادةٌ للأمم في هداية الأمم التكوينية من الجانب التكويني، وهم قادةٌ للأمم في الهداية العلمية والمعرفية هم مصدر العلم والمعرفة، وهم قادةٌ للأمم في الهداية الأخلاقية في الأخلاق والآداب والخصال، وهم قادةٌ للأمم في العبادات والروحانيات، وهم قادةٌ للأمم في الدين وما يتفرع على الدين من أحكام وقوانين وحدود، وهم قادةٌ للأمم في نَظْمِ أمور الناس في جانبها السياسي الاجتماعي الاقتصادي كما قلتُ قبل قليل قيادتهم السياسية هي في أسفل سلّم قيادتهم للأمم، هم قادةٌ إلهيون، هم قادة الفيض الإلهي وقادةُ التكوين الإلهي، ولهذه القيادة مظاهر تتجلى، ولذلك هذا التأكيد وهذا الحث على قيادة الأئمة صلوات الله عليهم وعلى الارتباط بهذه القيادة هو لأجل التوافق فيما وضعه الله سبحانه وتعالى في قوانين فطرة الوجود، في قوانين فطرة الوجود هناك قادةٌ يقودون هذا الوجود، نحن نقرأُ في دعاء شهر رجب المنقول عن إمامنا الحُجّة صلوات الله وسلامه عليه: **أعضادٌ وأشهاد ومُناةٌ**

وأذواد وحَفَظَةٌ وروّاد – هذه الأوصاف هي أوصافُ القادة التكوينيين، أوصاف قادة الفيض الإلهي – **أعضادٌ وأشهاد ومُناةٌ وأذواد وحَفَظَةٌ ورواد فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت** – هذا الظهور ليس ظهوراً لفظياً، هذا ظهور الفيض، الوجود هو عنوان لا إله إلا الله، الوجود كله يشهد أن لا إله إلا الله، لا إله إلا الله هو عنوانٌ لفيض الوجود الإلهي، هم قادةٌ لذلك المعنى الأعمق كما يقول الدعاء الشريف: **أعضادٌ وأشهاد ومُناةٌ وأذواد وحَفَظَةٌ ورواد فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت** – من هنا جاء الحثُّ والتأكيدُ على الالتصاق بهذه القيادة في كل مظاهرها، لأننا إذا التصقنا بهذه القيادة في كل مظاهرها فإننا قد مشينا قد اتجهنا بنفس الاتجاه الذي وضعه الله سبحانه وتعالى في فطرة هذا الوجود، في أصل هذا الوجود.

هناك روايةٌ جميلة جاءت في تفسير إمامنا العسكري صلوات الله وسلامه عليه، هما روايتان روايةٌ عن الحسن السبط وروايةٌ عن الحسين السبط عن سبطي رسول الله أما حسننا صلوات الله وسلامه عليه ماذا يقول؟!

من دَفَع فضل أمير المؤمنين عليه السلام على جميع من بعد النبي – من دفعه يعني من أنكره، من دفعه يعني من رفضه – **من دَفَع فضلَ أمير المؤمنين عليه السَّلام على جميع من بعد النبي صلى الله عليه وآله فقد كَذبَّ بالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وسائر كتب الله المُنزلة** – لماذا؟ لأن هذه القيادة قيادةٌ لكل الأمم، هم قادةُ الأمم، هذه القيادة جاءت مذكورةً، هذه القيادة أمر الله بها جميع الأنبياء، وقد صرَّحَ الأنبياء لأممهم إما بالجملةِ وإما بالتفصيل – **من دَفَع فضلَ أمير المؤمنين عليه السَّلام على جميع من بعد النبي صلى الله عليه وآله فقد كَذبَّ بالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وسائر كتب الله المُنزلة فإنه ما نزل شيءٌ منها** – فإنه ما نزل شيءٌ من هذه الكتب من كل الكتب السماوية – **فإنه ما نزل شيءٌ منها إلا وأهم ما فيه** – ما نزل شيءٌ من السماء – **إلا وأهم ما فيه بعد الأمر بتوحيد الله تعالى والإقرار بالنبوة** – ما هو الشيء هذا الأهم؟ – **الاعترافُ بولاية عليٍّ والطيبين من آله عليهم السلام** – هذا أهم شيءٍ ليس في القرآن فقط وإنما في كل الكتب المُنزلة.

أما ما حدَّثنا به حسيننا السبط صلوات الله عليه، ماذا يقول سيد الشهداء؟!

إن دفع الزاهد العابد – إذا كان هناك من زاهدٍ ومن عابد، الدفع هو الإنكار والرفض – **إن دفع الزاهد العابد لفضل عليٍّ على الخلق كلهم بعد النبي** – لأن القيادة لكل الخلق لمن؟! لعليٍّ بعد النبي، ليس في هذه الأُمَّة، الحديث هنا عنوان أكبر أوسع – **إن دفع الزاهد العابد لفضل عليٍّ على الخلق كلهم بعد النبي صلى الله عليه وآله ليصيرُ** – يعني هذا الدفع – **ليصيرُ كشعلة نارٍ في يوم ريحٍ عاصف وتصيرُ سائر أعمال الدافع لفضل عليٍّ** – ذلك الزاهد العابد تصير – **كالحَلفاء** – الحلفاء واضح هذا العشب

الذي ينمو في الصحارى، ينمو في الحقول وحينما يصيبه اليبس فإذا ما وقعت فيه شرارةٌ من نار فإنه يستعر سعيراً شديداً وسريعاً، بسرعة يحترق – **وتصيرُ سائر أعمال الدافع لفضل عليٍّ كالحَلفاء وإن امتلأت منه الصحاري** – حتى لو امتلأت الصحاري من الحَلفاء – **واشتعلت فيها تلك النار وتغشاها تلك الريح حتى تأتي عليها كلها فلا تبقى لها باقية** – الروايتان جميلتان جداً والمعاني فيهما واضحة ولا أريد أن أطيل الوقوف عند النصوص لكثرة المطالب التي أريد الإشارة إليها، فهذا التأكيدُ في كل الكتب المُنزلة هو بيانٌ بوجهٍ من الوجوه لمعنى قيادتهم للأمم، الأئمة هم قادة الأمم، وهذه القيادةُ لها ظهورات، هذه القيادةُ لها جذور في باطن العُمق التكويني البشري.

مثلاً في نفس تفسير الإمام الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليه، هناك حديثٌ جميل مرويٌ عن سيدة النساء، عن فاطمة صلوات الله عليها: **وقالت فاطمة عليها السلام لبعض النساء: أرضي أبَوي دينك مُحَمَّداً وعليّاً بسخط أبَوي نسبك ولا تُرضي أبوي نسبك بسخط أبوي دينك** – المعنى واضح – **أرضي أبوي دينك مُحَمَّداً وعليّاً بسخط أبوي نسبك** – طبعاً هذا في أي حال؟ في حال إذا كان آباء النسب لا يريدون من أبنائهم أن يكونوا مع أباء الدين مع مُحَمَّد وعليّ، وإلا لو كانوا من شيعتهم ومن أوليائهم فلا يكون هذا المعنى – **أرضي أبوي دينك مُحَمَّداً وعليّاً بسخط أبوي نسبك ولا ترضي أبوي نسبك بسخط أبوي دينك فإن أبوي نسبك إن سخطا أرضاهما مُحَمَّد وعليٌّ بثواب جزءٍ من ألف جزءٍ من ساعةٍ من طاعاتهما** – من طاعاتهما يعني من طاعات مُحَمَّد وعليّ، فكيف لا يرضيان – **فإن أبوي نسبك إن سخطا أرضاهما مُحَمَّد وعليٌّ بثواب جزءٍ من ألف ألف جزءٍ من ساعةٍ من طاعاتهما وإن أبوي دينك مُحَمَّداً وعليّاً إن سخطا لم يقدر أبوا نسبك أن يرضياهما لأن ثواب طاعات أهل الدنيا كلهم لا يفي بسخطهما** – الرواية واضحة ولا تحتاج إلى كثير شرحٍ أو إلى كثير توضيح، منشأ القيادة مظهرُ القيادة أحد مناشئه هو هذه الأبوة، كانوا قادةً للأمم لأن لهم الأُبوة، الأُبوة لكل الأمم، وما عليٌّ أبو تراب إلا فيه إشارة إلا فيه تلويح، تلويح من بعيد وإشارة من بعيد إلى مثل هذه المضامين، والتراب هنا ليس فيه الإشارة إلى تراب الأرض فقط، التراب هنا فيه الإشارة إلى المادة التي نشأت منها الأشياء، هذه المعاني لا تُفهم هكذا من اللغة فقط وإنما لابد من الجمع بين هذه النصوص وبين هذه الروايات الكثيرة جداً وبين المضامين والإشارات والتلويحات التي جاءت في الكتاب الكريم وبين كلمات أئمتنا وبين زياراتهم الشريفة، من كل ذلك تُستَنج هذه المعاني وإلا من الخطأ الواضح ومن الاشتباه الفاضح أن نستنتج المعنى من كلمةٍ واحدةٍ فقط، لأننا إذا اعتمدنا على كلمةٍ واحدةٍ فقط فإننا سنقع في دائرة الخطأ، لابد من الإحاطة ومن الجمع بكل ما جاء عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كي ترتسم الصورة كاملة وكي يتضح

المعنى جلياً واضحاً بيّناً، هذه الأبوةُ هي جذرٌ ومظهرٌ في تكوين قيادتهم للأمم، ولذلك ما جاء في رواياتنا التي تتحدث عن نبوات الأنبياء السابقين وعن أساس الديانات، وهذه نماذج:

الرواية عن إمامنا موسى بن جعفر: **ولايةُ عليٍّ مكتوبةٌ في جميع صحف الأنبياء** – ومرت علينا قبل قليل الرواية التي تتحدثُ عن أن أهم شيءٍ جاء مكتوباً في التوراة والإنجيل والزبور وفي سائر كتب الله المُنزلة ولاية عليٍّ، هذه الرواية عن إمامنا الكاظم – **ولايةُ عليٍّ مكتوبةٌ في جميع صحف الأنبياء ولن يبعث الله نبياً إلا بنبوة مُحَمَّد وولاية وصيه عليٍّ عليه السلام** – الروايات هذه من كتاب بصائر الدرجات لشيخنا الصفار من أصحاب إمامنا الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليه.

روايةٌ ثانية: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **ما تكاملت النبوةُ لنبيٍ في الأظلّة** – في عالم الأظلّة – **حتى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومُثلُوا له فأقروا بطاعتهم وولايتهم.**

الروايةُ الثالثة: عن مُحَمَّد بن مُسلم قال: سمعتُ أبا جعفرٍ عليه السلام يقول: **إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق النبيين على ولاية عليٍّ وأخذ عهد النبيين بولاية عليٍّ عليه.**

وروايةٌ أخرى: عن إمامنا الصادق: **ما نُبيء نبيٌ قط إلا بمعرفة حقنا وبفضلنا عمن سوانا.**

وروايةٌ أخرى: عن أبي بصيرٍ قال: قال أبو جعفر عليه السلام: **ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث الله نبياً قط إلا بها.**

وروايةٌ أخرى: عن أبي بصيرٍ عن إمامنا الصادق عليه السلام: **ما من نبيٍ نبيء ولا من رسولٍ أرسل إلا بولايتنا وبفضلنا على من سوانا.**

وروايةٌ أخرى: عن حمران عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: **إن الله تبارك وتعالى أخذ الميثاق على أولي العزم: أني ربكم ومُحَمَّد رسولي وعليٌ أمير المؤمنين وأوصيائه من بعد ولاة أمري وخُزّان علمي وأن المهدي أنتصر به لديني** – إن الله تبارك وتعالى أخذ الميثاق على أولي العزم: ما هو الميثاق؟! – **أني ربكم ومُحَمَّد رسولي وعليٌ أمير المؤمنين وأوصيائه من بعد ولاة أمري وخزان علمي وأن المهدي أنتصر به لديني.**

روايةٌ أخرى: عن جابرٍ الجعفي عن الباقر صلوات الله عليه قال: **سألته عن تعبير الرؤيا عن دانيال** – عن النبي دانيال أهو صحيح؟! – **قال: نعم، كان يوحى إليه وكان نبياً وكان مما عَلّمه الله تأويل الأحاديث وكان صدّيقاً حكيماً وكان والله يدينُ بمحبتنا أهل البيت، قال جابر: بمحبتكم أهل البيت؟! قال: إي والله وما من نبيٍ ولا مَلَك إلا وكان يدينُ بمحبتنا** – هم قادة الأمم، للملائكة، للأنبياء، للجان ولكل الأمم.

وهناك روايةٌ عن إمامنا العسكري: **إن ولاية مُحَمَّد هي الغرض الأقصى والمراد الأفضل ما خلق الله أحداً من خلقه** – من خلقه مطلقاً – **ما خلق الله أحداً من خلقه ولا بعث أحداً من رسله إلا ليدعوهم إلى ولاية مُحَمَّد وعليٍّ وخلفائه ويأخذ به عليهم العهد ليقيموا عليه وليعمل به سائر عوام الأمم.**

روايةٌ أخرى: عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **لمَّا عُرج بي إلى السماء انتهى بي المسير مع جبرئيل إلى السماء الرابعة فرأيتُ بيتاً من ياقوتٍ أحمر فقال لي جبرئيل: يا مُحَمَّد هذا هو البيت المعمور خلقه الله تعالى قبل خلق السماوات والأرضيين بخمسين ألف عام، قُم يا مُحَمَّد فصلي إليه، قال النبي صلى الله عليه وآله: وجمع الله إليَّ النبيين عند البيت المعمور فصفهم جبرئيل عليه السلام ورائي صفاً فصليتُ بهم، فلمَّا سلمتُ أتاني آتٍ من عند ربي فقال لي: يا مُحَمَّد ربكُ يقرئك السلام ويقول لك: سل الرسل على ماذا أرسلتهم من قبلك؟ فقلتُ: معاشر الرسل على ماذا بعثكم ربي من قبلي؟ فقالت الرسل: على ولايتك وولاية عليّ بن أبي طالب وهو قوله تعالى:** ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ هذه آية من آيات الكتاب الكريم، وهي الآيةُ الخامسةُ والأربعون من سورة الزخرف. ومثل هذه الروايات كثيرٌ وكثير في كتب الحديث، في الكافي الشريف، في البصائر، في البحار، في كل مصادرنا الحديثية، هناك الكثير، الكثير من هذه النصوص التي تتحدث عن معنى وعن مضمون قيادتهم للأمم السالفة للأنبياء للملائكة ولكل ما خلق الله، وهذا وجهٌ آخر ومظهرٌ آخر من مظاهر قيادتهم للأمم ولكل ما خلق الله سبحانه وتعالى.

هناك روايةٌ في الكافي الشريف ينقلها أيضاً السيد هاشم البحراني في تفسيره، الرواية في بيان معنى الآية الخامسة والخمسون من سورة المائدة ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الرواية عن أحمد بن عيسى يرويها الشيخ الكليني بسنده: عن أحمد بن عيسى عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ – ماذا يقول إمامنا الصادق؟– **قال: إنما يعني أولى بكم** – ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ – منهم الذي أمنوا؟ – ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ – الآية الخامسة والخمسون من سورة المائدة، ما المراد من الولاية هنا؟ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ إمامنا الصادق يقول – **إنما يعني أولى بكم، أي أحقُ بكم وبأموركم وأنفسكم وأموالكم** – إنما وَلِيُّكُمُ اللّهُ: المراد من الولاية هنا هو هذا المعنى – **إنما يعني أولى بكم، أي أحقُ بكم وبأموركم وأنفسكم وأموالكم الله ورسوله والذين أمنوا، قال: يعني عليّاً وأولاده الأئمة عليهم السلام إلى يوم القيامة** – هم قادة

الأمم، ما المراد من القيادة؟ هذا مظهرٌ آخر من مظاهر القيادة، فهم أحقُ بكم وبأموركم وأنفسكم وأموالكم إلى يوم القيامة، هذا مظهرٌ آخر من مظاهر القيادة.

مرت علينا روايات تتحدث عن معنى أبوتهم، ومرت علينا روايات تتحدث عن معنى العهود والمواثيق التي أُخِذت على كل الأنبياء وعلى أولي العزم منهم وعلى كل الرسل في كل الديانات في كل الأمم الماضية وعلى الملائكة وعلى كل الكائنات، مرت علينا الروايات، وهذه الروايةُ تفصلُ جانباً آخر، وجهاً آخر من قيادتهم للأمم، فهم أحق بنا وبأمورنا وأنفسنا وأموالنا إلى يوم القيامة، أنا قلتُ في بداية الأمر بأنهم هم قادةٌ في الفيض كما مر علينا في دعاء شهر رجب المنقول عن إمامنا الحجة بن الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليهما، المضامينُ في كلمات أهل البيت كثيرةٌ جداً التي تأتي في هذا السياق، حين نسلم عليهم: **وَقادَةَ الأُمَمِ** – هذا جزءٌ يسيرٌ من معنى قيادتهم للأمم، هناك جهات أخرى تحدّثت عنها روايات أهل البيت، كلمات أهل البيت، على سبيل المثال وليس على سبيل الاستقصاء، هم لهم القيادة المُطلقة في كل طبقات الوجود، لذلك هناك الكثير من النصوص لا يمكن أن تُفهم إلا في ضوء هذا العُمق من التفكير.

هذا هو الجزء السادس والعشرون من بحار الأنوار لشيخنا المجلسي، وهذا هو حديثُ معرفتهم بالنورانية، لربما نُفردُ وقتاً إذا سنح المجال إن شاء الله في أيام شهر رمضان أتحدَّثُ فيه عن هذا الحديث لا لشرحه فإن شرح هذا الحديث يحتاجُ إلى وقتٍ طويل، وإنما نقرأ الحديث ونسبرُ غوره بشكلٍ مُجمل، إذا ما سنح الوقت إن شاء الله في أيام شهر رمضان فإني أعدكم بذلك فإن لم يسنح الوقت إن شاء الله أتحدث عنه بعد شهر رمضان، حديثُ المعرفة بالنورانية حديثٌ ينقله لنا سلمان وأبو ذر عن سيد الأوصياء، أقتطف هذه المقاطع التي تحَدِّثُنا عن معنى قيادتهم للأمم، ماذا يقول سيد الأوصياء؟

يا سلمانُ ويا جُندب – جندب هو اسمُ أبي ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه – **يا سلمانُ ويا جُندب قالا: لبيك صلوات الله عليك.**

قال عليه السلام: أنا أميرُ كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ ممن مضى وممن بقي – ممن مضى على وجه الإطلاق، وهذا الوصف يشمل الأنبياء يشمل الأوصياء – **أنا أميرُ كلُ مؤمنٍ ومؤمنةٍ** – هذا يشمل الجميع من الأناس، من الملائكة، من الجان، ومن كل ما خلق الله – **أنا أميرُ كلُ مؤمنٍ ومؤمنةٍ ممن مضى وممن بقي** – أليس هذا من أجلى معاني قيادة الأمم؟ هذا المعنى واضح – **أنا أميرُ كلُ مؤمنٍ ومؤمنةٍ ممن مضى وممن بقي وأُيدتُ بروح العظمة** – وهذا هو سرُّ القيادة لكل الناس – **وأُيدتُ بروح العظمة وإنمَّا أنا عبدٌ من عبيد الله، لا تسمونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لن تبلغوا من فضلنا كُنه ما جعله الله لنا ولا معشار العشر** – ولا يوجد في لغة العرب مقدار أصغر من هذا المقدار – **وإنمَّا أنا عبدٌ من**

عبيد الله، لا تسمونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لن تبلغوا من فضلنا كُنه ما جعله الله لنا ولا معشار العشر – لماذا يا سيد الأوصياء؟! هو يقول – **لأنَّا آيات الله ودلائله وحُجَجُ الله وخُلفائُه وأُمنائه وأئمته** – وأنتم كذلك – **لأنَّا آيات الله ودلائله وحُجَجُ الله وخُلفائُه وأُمنائُه وأئمته** – وبعد – **ووجه الله وعين الله ولسان الله، بنا يعذب الله عباده، وبنا يثيب، ومن بين خلقه طهرنا واختارنا واصطفانا وتلك هي القيادة الكونية ولو قال قائلٌ لمَا وكيف وفيما لكفر وأشرك لأنه لا يُسئل عما يفعل وهم يسئلون** – أستمر في كلام سيد الأوصياء فإني عالِمٌ أنه يُدخِل السرور والبهجة على قلوبكم أنتم، أنتم يا أحباب عليّ – **يا سلمانُ ويا جُندب قالا: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك.**

قال عليه السلام: من آمن بما قُلتُ وصدق بما بيّنتُ وفسّرتُ وشرحتُ وأوضحتُ ونوّرتُ وبرهنتُ فهو مؤمنٌ ممتحنٌ امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام، وهو عارفٌ مستبصرٌ قد انتهى وبلغ وكَمُل، ومن شكَّ وعَنَدَ وجحد ووقف وتحير وارتاب فهو مُقصِّرٌ وناصب، يا سلمانُ ويا جندب قالا: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك.

قال عليه السلام: أنا أحيّ وأُميت بإذن ربي، وأنا أنبئكم بما تأكلون وما تدّخرون في بيوتكم بإذن ربي، وأنا عالِم بضمائر قلوبكم، والأئمة من أولادي يعلمون ويفعلون هذا إذا أحبوا وأرادوا لأنَّا كلنا واحد أولنا مُحَمَّد وآخرنا مُحَمَّد وأوسطنا مُحَمَّد وكلنا مُحَمَّد فلا تُفَرِّقوا بيننا، ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا كرهنا كره الله، الويلُ كلُ الويلُ لمن أنكر فضلنا وخصوصيتنا وما أعطانا الله ربنا لأن من أنكر شيئاً مما أعطانا الله فقد أنكر قدرة الله عزَّ وجل ومشيته فينا، يا سلمانُ ويا جندب قالا: لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك.

قال عليه السلام: لقد أعطانا الله ربنا ما هو أجلُّ وأعظمُ وأعلى وأكبرُ من هذا كله، قلنا: يا أمير المؤمنين ما الذي أعطاكم ما هو أعظمُ وأجلُّ من هذا كله؟ قال: قد أعطانا ربنا عزَّ وجلَّ عِلمَنا للاسم الأعظم – للاسم الأعظم بكله حتى المستأثر، وإلا فحروفٌ من الاسم الأعظم عند الأنبياء، العلم الأعظم هو ذلك الحرفُ المُستأثر ومر الكلام بخصوصه عند بيان معنى: وخزان العلم – **قد أعطانا ربنا عزَّ وجلَّ عِلمَنا للاسم الأعظم الذي لو شأنا خرقنا السماوات والأرض والجنة والنار ونعرجُ به إلى السماء ونهبطُ به الأرض ونُغرِّبُ ونُشرِّق** – وتلك هي القيادةُ المُطلقةُ في كل طبقات الوجود، إذا كان مُحَمَّد قد بُعث لكل العالمين كيف يتواصلُ مع كل العالمين؟! كيف يتواصلُ إذا كانت الرسالةُ لكل العالمين، كيف يتواصلُ مُحَمَّد مع كل العالمين؟! إذاً لابد لمحَمَّدٍ من وسيلةٍ ومن طريقٍ يتواصل به مع كل العوالم، وتكون له الظهورات في كل العوالم – **قد أعطانا ربنا عزَّ وجل عِلمَنا للاسم الأعظم الذي لو شئنا خرقنا**

السماوات والأرض والجنة والنار ونعرج به إلى السماء ونهبط به الأرض ونُغَرِّبُ ونُشَرِّق وننتهي به إلى العرش فنجلس عليه بين يدي الله عزَّ وجلَّ ويطيعنا كل شيءٍ حتى السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجرُ والدواب والبحار والجنة والنار، أعطانا الله ذلك كله بالاسم الأعظم الذي عَلَّمَنا وخصنا به، ومع هذا كله نأكل ونشرب ونمشي في الأسواق ونعمل هذه الأشياء بأمر ربنا ونحن عباد الله المُكرَمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمرهِ يعملون – الحديث طويل أنا اقتطفت مقاطع من هذا الحديث الشريف المروي والمنقول عن سيد الأوصياء برواية سلمان وأبي ذر رضوان الله تعالى عليهما، وهذه الكلمات كلها بحاجةٍ إلى شرح، لكنني أكتفي بما يظهر منها بالجملة، كل هذه المضامين تتحدث عن أي شيءٍ؟ تتحدث عن قيادتهم لهذا الوجود، عن قيادتهم للأمم، الأمم بكل طبقاتها، ليس في طبقةٍ واحدة أو في مظهرٍ واحد، هذه النصوص وهذه الكلمات كُلُّها تكشف لنا شيئاً من هذا المعنى ومن هذا المضمون الذي ذكره إمامنا أبو الحسن الهادي صلوات الله وسلامه عليه في الزيارة الجامعة الكبيرة حين يقول: **وَقادَةَ الأُمَمِ**.

العنوان الذي بعد هذا العنوان: **وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ** – وهما يرتبطان رباطاً وثيقاً فيما بينهما، فقيادتهم مردها إلى ولايتهم على كل النعم – **وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ** – هم لهم الولاية علينا ولهم الولاية على غيرنا ولهم الولاية على كل ما خلق الله سبحانه وتعالى – **وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ** – الأولياء جمعٌ لولي والولي تحمل معنيين، تحمل معنى القريب وتحمل معنى المُتَسَلِّط، وهم يحملون هذين المعنيين، هم القريبون إلى الله وهم القريبون من كل شيء، فما من شيء إلا وقد خُلِق من نور مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، من نور الحقيقة المُحَمَّدية، تلكم الحقيقة التي هي أقرب إلى كل شيء من نفس الشيء إلى نفسه، هل هناك شيء أقرب إلى أي شيءٍ من نفس الشيء إلى نفسه؟ الحقيقة المُحَمَّدية لأن نورها نافذ في كل شيء، الله سبحانه وتعالى أشتق جميع الأشياء من نور الحقيقة المُحَمَّدية، الولي هو القريب ولقربه هذا تكون له السلطة، إنما هو تَسَلَّط وأحاط بالأشياء من داخلها ومن خارجها، لأي شيءٍ؟ لأنه قريبٌ إليها، أولياء جمع ولي والولي قريبٌ إلى الله، لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك، وقريبٌ إلى المخلوقات فإن المخلوقات اشتُقت من أنوارهم، فهم قريبون منها وأقرب إليها من أنفسها إلى أنفسها، وتلكم معانٍ عميقة تحتاج إلى تدبر، تحتاج إلى تفكر، نحن حين نتبصر في معنى الأولياء وفي معنى النِعَم، والنِعَم جمعٌ لنعمة، والنعمة هي ما تكون سبباً لكمال الإنسان لرقيه، النعم تأتي لسد النقص يكون المخلوق عنده نقص وهذا الشيء يكمل هذا النقص، ما يكمل هذا النقص هو النعمة، أو ما يكون سبباً لزيادة كماله، نورٌ على نور، هو هذا نعمةٌ أخرى، النِعَم إما أن تكون لإكمال النقص وإما أن تكون كمالاً فوق كمال، وكل ما في هذا الوجود من فيضهِ سبحانه وتعالى إما أن

يكون إكمالاً لنقص وإما أن يكون كمالاً فوق كمال، لذلك نحن نقرأ في سورة إبراهيم عليه السلام الآية الرابعة والثلاثون ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ آتاكم من كل ما سألتموه، هذا السؤال هنا ليس سؤالاً لفظياً، قد يدخل السؤال اللفظي ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ لأن الله سبحانه وتعالى لا يعطينا كل ما نسأله بالسؤال اللفظي وإنما هذا هو السؤال التكويني ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ من جهة التكوين من جهة السؤال التكويني أن الله سبحانه وتعالى آتانا وآتى الكائنات كل ما يحتاجه تكوينها، طبعاً هذا في أفق من أفاق الآية، وإلاّ إذا كانت الآية في خطابها موجهة لمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد فذلك يعني كمالهم الذي وهبه الله إليهم ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ كل شيءٍ سألهُ آل مُحَمَّد إن كان بلسان التكوين، إن كان بلسان التشريع، إن كان بلسان العبادة وبلفظ القول، وإن كان بلسان الفيض، وإن كان بلسان الفناء، وإن كان بلسان القرب وقرب القرب فإن الله سبحانه وتعالى قد أعطاهم إياه ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ نعمهُ لا تُعد ولا تحصى، وهي إما أن تكون إكمالاً لنقص أو كمالاً فوق كمال، هذا بالنسبة لعالم المخلوقات في عالم الخلق الثاني ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ وهم أولياء النعم، كل هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى هم أوليائها، يعني هم أصحابها وهم الذين لهم السُلطة والحكومة عليها.

في سورة لقمان في الآية العشرين من سورة لقمان ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ هذه النعم الظاهرة والباطنة هل هي متجلية لنا بالوجه الحقيقي؟ هناك شيء من التجلي لنِعَم الله، يعني هذه الآية لَمَّا تقول ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ نحن هل رأينا حقيقةً، هل رأينا التسخير في عالم السماوات، نحن ماذا رأينا من السماوات؟ هل رأينا التسخير في عالم الأرض؟ قطعاً الكلام هنا في حقيقتهِ مُوجّه لأولئك الذين يملكون الرؤية الإحاطية، إذا كان يوجه إلينا فهو عَرَضاً يوجه إلينا، لأن هذه الرؤية إذا كان الكلام موجهاً إلينا فهي الرؤية القلبية أو الرؤية العقلية، لكن الرؤية الحقيقية المذكورة في الآية هي الرؤية الإحاطية، يعني هناك من خلق الله من لهم الإحاطة، الرؤية الإحاطية بحيث يطلعون على كل هذه التفاصيل، فهم محيطون بكل التسخير الموجود في السماوات وفي الأرض أما نحن نملك رؤيةً عقلية رؤية قلبية نقول بأن الله سخر السماء والأرض مجرد صورة

ذهنية ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ الآية هنا تتحدث عن نِعَم ظاهرةٍ وعن نِعَم باطنة، الآية تتحدث عن تسخيرٍ لكل ما في السماوات وما في الأرض وهذا المعنى نفسه يمكن أن نجدهُ في سورة النحل، في الآية السادسة والتسعين ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ – إلى آخر الآية – وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ الحديث هنا عن أي شيءٍ؟ عن العطاء الذي لا ينفد، عن هذه النِعَم الظاهرة والباطنة التي لا انقطاع لها ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ ما عندكم يعني ما حُسِب لكم بحسب وعاء تَقَبُّل الفيض، الله سبحانه وتعالى يَهَب المخلوق عطاءاً بحسب قابليته لقبول ذلك العطاء، ومع ذلك فهذا العطاء لا يملكه المخلوق وإنما مردهُ إلى الله ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾ ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ .

وفي الآية التاسعة بعد المئة من سورة الكهف المباركة ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ جئنا ببحر آخر، وكل هذا يشير إلى العطاء المتواصل الذي لا انقطاع له، في سورة لقمان أيضاً في الآية السابعة والعشرين ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ قطعاً في روايات أهل البيت هذه الآيات في وجهٍ من وجوهها إنها في فضائل عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، إنها في فضائلهِ ومناقبهِ والآيات لها وجوه ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ في سورة ص في الآية الرابعة والخمسين آية قصيرة تجمع كل هذه المعاني ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ هذه الآية جاءت في سياق آياتٍ تتحدث عن الجنان ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ إلى آخر الآيات الشريفة، إلى أن تقول في الآية الرابعة والخمسين ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ هذا الرزق الذي لا نفاد له، وهذه النعم التي لا تُعَدُّ ولا تحصى، هذه مظاهر، هناك نِعَم ظاهرة وباطنة، هناك نِعَم لا تُعَدُّ ولا تُحصى، هناك رزق لا نفاد له، ما عند الله باقٍ وما عندكم ينفد، كل هذا حديث عن مراتب وعن مظاهر لتلكم النِعَم التي أشار إليها إمامنا الهادي

صلوات الله وسلامه عليه، حين نخاطب أئمتنا بما جاء في زيارته الشريفة زيارة إمامنا الهادي الجامعة الكبيرة – **وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ** – الأولياء هم القريبون المُتَسَلِّطون، هم أصحاب الولاية، والنِعَم كل هذا الفيض الذي تمت الإشارة إليه في آيات الكتاب الكريم التي عشنا في أجواءها شيئاً من دقائق نتبصر في معانيها وفي مضامينها.

أما لو رجعنا إلى كلمات المعصومين لوجدنا الكثير من ذلك في كلماتهم القدسية، في نفس الزيارة الجامعة الكبيرة سيأتينا نقرأ فيها ونحن نخاطبهم صلوات الله وسلامه عليهم: **بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ الله، وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّماءَ اَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلاّ بِإِذْنِهِ، وَبِكُمْ يُنَفِّسُ الْهَمَّ وَيَكْشِفُ الضُّرَّ.** وهذه الباء هذه باء السببية باء الواسطة، هم السبب في ذلك، الله سبحانه وتعالى هو مُسبب الأسباب من غير سبب، لكن هذه الأسباب هي تتجلى بتمام حقيقة معناها فيهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهذه الزيارة الجامعة هنا تتحدث على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، لا يعني أن هذه الأمور فقط المذكورة في الزيارة هي التي تأتي بسببهم وإنما هذه أمثلة – **بِكُمْ فَتَحَ اللهُ** – هذا عنوان عام – **وَبِكُمْ يَخْتِمُ الله** – ما من شيءٍ إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه، يعني ما من شيءٍ إلا والفتح فيه من جهتهم والختم فيه من جهتهم – **بِكُمْ فَتَحَ اللهُ** – فتح في كل شيء، وبكم ختم الله في كل شيء، ما من شيء إلا وفاتحتهُ منهم وخاتمته إليهم – **بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ الله، وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّماءَ أنْ تَقَعَ عَلَى الأرضِ إلاّ بِإِذْنِهِ، وَبِكُمْ يُنَفِّسُ الْهَمَّ وبكمَ يَكْشِفُ الضُّرَّ** – هذه أمثلة ونماذج كما أن الزيارات والروايات والأدعية هي الأخرى أيضاً تتحدث عن نماذج أخرى، حينما نتدبر ونتبصر بجميع هذه الأمثلة نستنتج صورة، تتجلى لنا صورة بينة وواضحة.

مثلاً في الزيارة الرجبية التي يُستحب أن يُزار بها الأئمة صلوات الله عليهم في شهر رجب، ماذا نخاطب الأئمة صلوات الله عليهم – **أنا سائلكم وآمِلُكُم فيما إليكم التفويض وعليكم التعويض فبكم يُجبر المهيض** – المهيض يعني المكسور – **فبكم يُجبر المهيض ويشفى المريض وما تزداد الأرحام وما تغيض** – هذا من الزيارة الرجبية التي يستحب أن يزار بها الأئمة في شهر رجب، وهذه نماذج، هذه صور، لقطات، مثل ما مرَّ علينا في الزيارة الجامعة الكبيرة لقطات، هذه لقطات أخرى في الزيارة الرجبية – **أنا سائلكم وآمِلُكم فيما إليكم التفويض** – فأنتم أولياء النعم الأولياء الذين فوضت إليهم الأمور – **فيما إليكم التفويض وعليكم التعويض** – أنتم الأولياء، الولي هو الذي تُفَوَّض إليه الأمور ويكون بيده التعويض – **أنا سائلكم وآملكم فيما إليكم التفويض وعليكم التعويض فبكم يُجبر المهيض ويشفى المريض وما تزداد الأرحام وما تغيض** – تغيض يعني تنقص، وهذه مجرد مصاديق وأمثلة، الكلام هنا ليس من باب

الاستقصاء والإحاطة، إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، هذه المعاني لا تحصى ولا تُحصر ولا تُعد بالألفاظ، مثلاً في زيارة سيد الشهداء، الزيارة المطلقة الأولى من زيارات سيد الشهداء بحسب ترتيب مفاتيح الجنان، وهذه الزيارة ينقلها المُحَدِّث القمي عن كتاب الكافي الشريف، ماذا نخاطب سيد الشهداء في هذه الزيارة؟ **وبكم تُنبِتُ الأرضُ أشجارها وبِكُم تُخرِجُ الأرض ثمارها وبِكُم تُنَزِّلُ السّماءُ قَطرَها ورِزقَها وبِكُم يَكشِفُ الله الكرب وبِكُم ينزِّل الله الغَيثْ** – وهذه نماذج صور لقطات، لا تتصوروا أن هذه النصوص على سبيل الحصر، المُطّلع على بقية النصوص يعرف هذه الحقيقة التي أنا أقولها – **وبكم تُنبِتُ الأرضُ أشجارها وبِكُم تُخرِجُ الأرض ثمارها وبِكُم تُنَزِّلُ السّماءُ قَطرَها ورِزقَها وبِكُم يَكشِفُ الله الكرب** – في القضايا المادية والمعنوية – **وبِكُم يُنَزِّلُ الله الغَيثْ** – في عالم السماء وفي عالم الأرض، في العوالم الظاهرة وفي العوالم الباطنة، في عالم المادة وفي عالم المعنى، أليس هذه الصور نماذج من كل هذه الطبقات، وما ذلك بشيءٍ غريب. نحن على سبيل المثال نقرأ مثلاً في زيارة النُدبة وهي زيارة للإمام الحجة، زيارة الندبة هي غير دعاء الندبة، هذا هو البحار الجزء: 102، هذه الزيارة تُسمّى بزيارة الندبة أو تسمى بزيارة آل ياسين غير المشهورة، هذه غير مذكورة في المفاتيح موجودة في البحار، ونحن نخاطب الإمام الحُجّة صاحب الأمر:

ومن تقديرهِ – يعني من تقدير الله – **منائح العطاء بكم** – منائح العطاء من الله، منائح جمعٌ لمنحة – **ومن تقديرهِ منائح العطاء بكم إنفاذهُ محتوماً مقروناً** – ثم تبين الرواية هذا القانون، قانون واضح – **فما شيءٌ مِنّا** – يا صاحب الزمان – **إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل** – ولذلك نحن نخاطبه في دعاء النُدبة – **أين السبب المتصل بين الأرض والسماء** – تلاحظون الأدعية والزيارات والنصوص المعصومية، الأحاديث، الآيات القرآنية كلها يعضد بعضها بعضاً، ألا يكشف ذلك عن منظومة واحدة، لو كانت هذه الأحاديث ضعيفة كيف اتسقت فيما بينها؟ لو كانت هذه الأحاديث ليست مُفَسِّرة للقرآن كيف تعاضد القرآن مع هذه الأحاديث؟ ألا يا أصحاب العقول، ألا يا أصحاب الأفكار، فَكِّروا، هذه الأحاديث وهذه الزيارات لم توضع في زمانٍ واحد ومن كان عنده خبرة بكتب الحديث يعرف والقرائن قائمة، هذه أحاديث منها ما جاء مروياً عن النبي، منها ما جاء مروياً عن سيد الأوصياء، وهكذا عن بقية الأئمة، كل هذه النصوص تُنتِجُ حقيقةً واحدة ألا يدل ذلك على أن هذه النصوص وهذه المضامين كل ذلك صحيح؟ مثل ما تكون عندنا صورة مُقَسّمة إلى قطع، فحينما نجمع فيما بينها وتظهر عندنا صورة كاملة هذا يكشف لنا عن أن هذه الأجزاء أجزاء الصورة كلها صحيحة بدليل أنها اجتمعت فيما بينها فأوجدت لنا صورة كاملة – **ومن تقديرهِ منائح العطاء بكم إنفاذهُ محتوماً مقروناً فما شيءٌ مِنّا** – وليس منا فقط لكن لأن الزيارة هي زيارة إنسان يزور الإمام – **فما شيءٌ مِنّا** – فما شيءٌ من الوجود – **إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل** – وهذا المعنى

هو الذي يتردّدُ في الزيارات التي قرأتها على مسامعكم قبل قليل، لذلك حينا نقرأ في دعاء العديلة الذي يستحب قراءتهُ عند المُحتَضِر إلى أن يقول الدعاء:

ثم الحُجّة الخَلَفُ القائم المُنتَظَرُ المهدي المُرجى الذي ببقائه – هذه أيضاً باء السببية – **الذي ببقائه بقيت الدنيا وبُيمنه رُزِقَ الورى وبوجودهِ ثَبتت الأرضُ والسماء.** هذه أوصاف لمن؟ لقائدٍ سياسي؟ أم لقائد التكوين، لولي النعمة الحقيقي في هذا الوجود – **الذي ببقائه بقيت الدنيا وبُيمنه رُزِقَ الورى وبوجودهِ ثَبتت الأرضُ والسماء** – وهذه المعان ليست في نص واحد أو في كلمة واحدة أو في رواية واحدة هذه مئات من النصوص، وما أعرضه بين أيديكم يا أحباب عليٍّ واللهِ ما هو إلا أمثلة، إذا أردت أن أتناول كل النصوص فإن الوقت لا يكفي وحتى العمر لا يكفي، هذه نماذج وأمثلة، ومثل هذه النماذج ومثل هذه النصوص هناك الكثير الكثير الكثير، ويأتينا بعض الجهَلة وبعض المتحذقين ممن لا يحسنون لا أقول آيتين لا يحسنون آيةً، لا يحسنون فهم آيةٍ من آيات الكتاب فيريدون منا أن نضرب بكل هذا عرض الجدار، وليس لهم من هدفٍ إلا تسطيح الفكر، أهل البيت هم أصحاب الفكر العميق، وهذه النصوص كلها تقودنا إلى الفكر العميق.

نحن نقرأ في حديث الكساء الشريف، ماذا نقرأ وأنتم تعرفون هذا، فقط أخذ هذا المقطع: **فهبطَ الأمين جبرئيل وقال: السَّلامُ عليك يا رسول الله العَليُّ الأعلى يُقرئك السَّلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك: وعزتي وجلالي إني ما خلقت سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً** – وهذه أيضاً نماذج لا على نحو الإحصاء التام ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ القرآن هكذا قال فالألفاظ حتى لو جاءتنا من طريق الوحي الألفاظ محدودة، الله هو الذي يُصَرِّح ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ ليس الله عاجزاً عن الإحصاء لكن اللغة عاجزة، النقص هنا في اللغة، فاللغة لا تتمكن من إحصاء ومن عد النعم، فهذه نماذج من النعم – **وعزتي وجلالي إني ما خلقت سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فَلَكاً يدور لا بحراً يجري ولا فُلكاً يسري إلا لأجلكم ومحبتكم** – وهذه إلا لأجلكم ومحبتكم ليست قضية اجتماعية، مثل ما أقول أنا جئت بهذه الهدية وما جئت بها من ذلك المكان البعيد وهي ثقيلة إلا لأجلكم، إلا لأجلك يا فلان، هذه قضية اجتماعية وعاطفية، الله هنا سبحانه وتعالى يُكَلِّم الحقائق الأولى، إلا لأجلكم ومحبتكم لا تُفهم بهذا المعنى الاجتماعي السطحي الساذج، وإنما هذه المعاني يعضد بعضها بعضاً، هذه المعاني هي التي أشارت إليها الزيارة، الزيارة الجامعة الكبيرة بأنهم أولياء النعم، لهم الولاية المُطلقة ولهم القُرب المُطلق وهم محيطون بهذه النِعَم التي لا تعد ولا تحصى وهم متصرفون فيها، ومن هنا أيضاً نشأ معنى القيادة الكونية – **وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ** – نحن نتناول

نصوصاً من هنا ومن هناك تكشف لنا عن شيءٍ من معنى ولايتهم للنعم.

هذه الرواية في الكافي الشريف، الرواية عن أبي بصيرٍ عن إمامنا الصادق قلت له، أبو بصير يسأل الإمام الصادق – **قلت له: أمَا على الإمام زكاة؟** – سؤال يتناسب مع عقولنا – **أمَا على الإمام زكاة؟ فقال: أحَلْتَ يا أبا مُحَمَّد** – أحَلْت يعني ذهبت في طريقٍ ليس سديداً، أحَلْت يعني كأنك قلت المستحيل، ذهبت في طريقٍ هذا الطريق ليس سديداً – **أحَلْتَ يا أبا مُحَمَّد أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيثُ يشاء ويدفعها إلى من يشاء جائزُ له ذلك من الله، إن الإمام يا أبا مُحَمَّد لا يبيت ليلةً أبداً ولله في عنقهِ حقٌّ يسأله عنه** – يعني الإمام شيءٌ آخر، موطن الشاهد هنا – **أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيثُ يشاء ويدفعها إلى من يشاء جائزُ له ذلك من الله** – هذه هي المعاني التي تتآلف فيما بينها في كلمات المعصومين، هذه الرواية تعطينا خلاصة، خلاصة موجزة – **أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيثُ يشاء ويدفعها إلى من يشاء جائزُ له ذلك من الله** – الله هو الذي أجاز له ذلك، الله هو الذي وهب له ذلك، وهذا هو مظهر أيضاً من مظاهر ولايتهم للنِعَم وإلا فهم أصل النعم، بهم فتح الله وبهم يختم الله سبحانه وتعالى، وكل شيءٍ خُلِق من أنوارهم فمرد النعم بتمامها إليهم، كلمات المعصومين من هذا النحو كثيرة جداً.

في أحد التوقيعات الصادرة من الناحية المقدسة من إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه وهذا هو الجزء الثالث والخمسون من بحار الأنوار الشريف، رسالة الإمام يكتبها إلى أشياعه جاء فيها – **لأن الله معنا** – الإمام يقول إمام زماننا – **لأن الله معنا فلا فاقة بنا إلى غيره** – فلا فاقة فلا حاجة، وإنما الكُلُّ يحتاجون إليهم – **لأن الله معنا فلا فاقة بنا إلى غيره، والحقُّ معنا فلن يوحشنا من قعد عنا ونحن صنائع ربنا والخلق بعدُ صنائعنا** – العبارة واضحة وصريحة – **ونحن صنائع ربنا** – يعني ما عندنا من النعم فمن ربنا – **والخلق بعدُ صنائعنا** – وكل ما من صنيعةٍ يعني من نعمةٍ من حُسنٍ من فضلٍ من معروفٍ من خيرٍ من كمالٍ فهو منا – **ونحن صنائع ربنا** – يعني ما عندنا من فضلٍ فهو من ربنا – **والخلق بعدُ صنائعنا** – وما في الخلق من صنيعةٍ أي من فضلٍ فهو منا – **فكل النعم مردها إلينا** – كل هذه النصوص تتحدث في هذه الأجواء وتتحدث في هذه الظلال.

لذلك ليس غريباً أن نقرأ في حديث المعرفة بالنورانية أيضاً، أن نقرأ هذا المعنى – **يا سلمان ويا جُندب قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: أنا الذي حملت نوحاً في السفينة بأمر ربي، وأنا الذي أخرجت يونس من بطن الحوت بإذن ربي، وأنا الذي جاوزت بموسى بن عمران البحر بأمر ربي، وأنا الذي أخرجت إبراهيم من النار بأذن ربي، وأنا الذي أجريت أنهارها وفجرت عيونها وغرست**

أشجارها بأذن ربي – هذه المعاني هي مظاهرٌ في طبقةٍ من طبقات الوجود لولايتهم على النِعَم على مُطلق النِعَم، هذه صور هذه أمثلة لنعم مادية وإنما ذُكر الأنبياء لأن الأنبياء هم أشرف الخلق هم أفضل الخلق وهم أوضح مظاهر النبوة والولاية في هذه الكائنات، فجاء ذكر الأنبياء لا أن الأمر مخصوصٌ بالأنبياء فقط، ذكر الأنبياء هنا لعلو مراتبهم، فإذا كانت نعمة أهل البيت جارية على الأنبياء الذين هم الأفضل والأشرف بين الخلق فمن باب الأولى أن نعمة أهل البيت جارية على غيرهم، القضية هنا على سبيل الأمثلة وعلى سبيل النموذج، وإلا المسألة أوسع وأكبر من ذلك.

مرَّ علينا قبل قليل الدنيا والآخرة هي بيد الإمام يعطيها إلى من يشاء ويمنعها عمن يشاء وذلك عطاءٌ من الله إليه، لذلك أمير المؤمنين يخاطب أبا ذر في نفس الحديث – **إعلم يا أبا ذر أنا عبد الله** – لا يذهب الذهن بعيداً فيشط في الفهم، أنا قلت سابقاً هذه المعاني نحتاج في فهمها إلى قاعدتين: قاعدة حفظ المقامات حفظ مقام العبودية مع حفظ مقام الربوبية، وقاعدة الحيثيات، تعدد الحيثيات، لابد أن نفهم هذه النصوص وفقاً لهاتين القاعدتين: حفظ المقامات وتعدد الحيثيات، لذلك سيد الأوصياء يقول – **إعلم يا أبا ذر أنا عبد الله عزَّ وجلَّ وخليفتهُ على عباده لا تجعلونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لا تبلغون كُنه ما فينا ولا نهايته** – لماذا؟ الإمام يقول – **فإن الله عزَّ وجل قد أعطانا أكبر وأعظم مما يصفه واصفكم أو يخطر على قلب أحدكم** – يعني حتى قوى الخيال لا تستطيع أن تصل إلى ذلك الفناء الطاهر – **فإن الله عزَّ وجلَّ قد أعطانا أكبر وأعظم مما يصفه واصفكم أو يخطر على قلب أحدكم فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون** – وأعيد وأكرر بأن هذه المطالب وهذه المعاني وهذه المضامين يحتاج فهمها إلى الالتزام بهاتين القاعدتين الذهبيتين: القاعدة الأولى حفظ المقامات، كل مقام نحفظ له خصوصياته. والقاعدة الأخرى وهي قاعدة تعدد الحيثيات، حينما ننظر إلى جهةٍ لا يعني أننا ننكر الجهات الأخرى، وحينما تتجه عقولنا وقلوبنا وأفكارنا باتجاه جهةٍ معينة لا يعني أن هذه العقول والقلوب والأفكار حُصرت فقط في هذه الجهة، هناك حيثيات متعددة في هذا الوجود، وهناك مقامات ولابد من حفظ خصوصية كل مقام لذلك المقام، وإلا سنقع في خبطٍ وخلط.

يمكن أن يتجلى من كل هذه المضامين معنى أنهم أولياء النعم ومعنى أنهم قادة الأمم، هناك بعض النصوص هذه النصوص تتجلى في طقوس الحياة اليومية، هي أيضاً تشير من بعيدٍ إلى هذه المضامين الواسعة، هناك جملة من النصوص وردت عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليه أجمعين، مثلاً: هذه الرواية في الكافي الشريف – **عن ابن بكير، قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام فأطعمنا ثم رفعنا أيدينا فقلنا الحمد لله، فقال أبو عبد الله عليه السلام بعد أن رفع يدهُ من الطعام: اللهم هذا منك ومن مُحَمَّد رسولك**

اللهم لك الحمد صلي على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد – هذا الدعاء يستحب أن يُقرأ، هذا الذكر يستحب أن يذكر بعد أن يتناول الإنسان طعامه، الرواية في الكافي الشريف – **اللهم هذا منك ومن مُحَمَّد رسولك اللهم لك الحمد صلي على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد** – وما ذلك بغريبٍ فعندنا في الأحاديث من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق وهذا المعنى واضح ولا أعتقد أن أحداً ينكر هذا المضمون، هذا المضمون عقلاً مقبول، شرعاً مقبول، المنطق، الفطرة تقبل كل هذه المعاني.

عندنا في رواياتنا على سبيل المثال مثلاً: هذه رواية يرويها زرارة عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه، الرواية عن أمير المؤمنين، ماذا قال أمير المؤمنين؟ – **ضاقت الأرض بسبعة** – مقصود من ضيق الأرض إشارة إلى علو منزلتهم وأن لهم منزلة لا تسعهم الأرض هذا المراد ضاقت الأرض، يريد الإمام هنا أن يتحدث عن عظمة منزلتهم ودرجتهم قال – **ضاقت الأرض بسبعة بهم تُرزقون وبهم تُنصرون وبهم تمطرون** – من هؤلاء؟ الإمام يقول – **منهم سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذر وعمار وحذيفة** – رحمة الله عليهم – **وكان عليٌّ عليه السلام يقول وأنا إمامهم وهم الذين صلوا على فاطمة عليها السلام** – إذا كانت هذه المعاني يمكن أن تتجلى في أولياء أهل البيت فما بالك بأهل البيت، وروايات عديدة في هذا المضمون أنا هنا جئت بنموذج، أنا قلت قبل قليل أنا لا أستطيع في هذا الوقت الضيق وفي هذه العُجالة والتي قد يراها البعض أنها وقتٌ طويل، يعني برنامج يصل إلى ساعتين أو أكثر من ساعتين قد يراها البعض مملة وأنا أعذرهُ في ذلك لكنني لا أجد وقتاً لبيان هذه المطالب الكثيرة والطويلة، مع ذلك أنا فقط أأتي بنماذج، وهذا يشير إلى قضية واضحة، هذا ينبئنا بشيء، ينبئنا بمظلومية أهل البيت، بمظلومية حديث أهل البيت، بمظلومية فكر أهل البيت، مؤسساتنا الشيعية غافلة عن هذا الفكر، غافلة عن هذا الحديث، قنواتنا الفضائية غافلةٌ عن هذا الفكر، منابرنا حسينياتنا غافلة عن هذا الفكر، ولو أردنا أن نختبر وأن نمحص ما يقال في مؤسساتنا الإعلامية، في قنواتنا الإعلامية، في صحفنا، في مجلاتنا، على منابرنا لوجدنا أن الكثير مما يقال لا علاقة له بأهل البيت، وحديث أهل البيت مركونٌ على جانب، لذلك إنني لا أجد وقتاً لطرح كل أحاديثهم وإنما أقتبس من هنا ومن هناك، وهذه الرواية نموذج من رواياتٍ كثيرة ماذا تقول الرواية؟ **ضاقت الأرض بسبعة بهم** – هذه الباء باء السببية – **بهم ترزقون وبهم تُنصرون وبهم تمطرون، منهم سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذر وعمار وحذيفة، وكان عليٌّ يقول: وأنا إمامهم وهم الذين صلوا على فاطمة صلوات الله وسلامه عليها.**

رواية أخرى، أيضاً من الكافي الشريف – **يونس بن ضبيان يقول: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام فحضر وقت العشاء** – وقت العَشاء هو وقت الطعام، ووقت العِشاء هو وقت صلاة العِشاء، لذلك

عندنا في الروايات أنّه إذا حضر العِشاء والعَشاء فقَدِّم العَشاء على العِشاء، العَشاء هو طعام العَشاء وقت طعام العَشاء، والعِشاء هو وقت صلاة العِشاء، إذا حضر العَشاءُ مع العِشاء فقدموا العَشاء على العِشاء، أحتراماً للنعمة، وهذا هو جزءٌ من حديثنا وفيه إشارة لطيفة وتلويحة جميلة جداً – **كنت مع أبي عبد الله عليه السلام فحضر وقت العَشاء فذهبت أقوم، فقال: أجلس يا أبا عبد الله فجلست حتى وُضِع الخوان** – الخوان هي السفرة – **فسمى حين وُضع، فلمَّا فرغ قال: الحمد لله هذا منك ومن مُحَمَّد صلى الله عليه وآله** – هذه الرواية في الكافي الشريف في وسائل الشيخ الحر العاملي وفي محاسن البرقي وفي مصادر حديثية عديدة أخرى.

هناك رواية أيضاً منقولة عن إمامنا الكاظم صلوات الله عليه ينقلها عن أبيه الصادق – **وكان الصادق عليه السلام إذا قُدِّم إليه الطعام يقول: بسم الله وبالله وهذا من فضل الله وبركة رسول الله** – هذا حين يُقَدَّمُ إليه الطعام، غير الروايات التي مرت وحدثتنا عمَّا يقولهُ بعد انتهاء الطعام – **وكان الصادق عليه السلام إذا قُدِّم إليه الطعام يقول: بسم الله وبالله وهذا من فضل الله وبركة رسول الله وآل رسول الله، اللهم كما أشبعتنا فأشبع كل مؤمنٍ ومؤمنة وبارك لنا في طعامنا وشرابنا وأجسادنا وأموالنا** – الرواية موجودة في البحار في نوادر الراوندي وفي مستدرك الوسائل لشيخنا المُحدِّث النوري رحمة الله.

هناك رواية ينقلها المحدث الكراجكي رحمة الله عليه في كتابه كنز الفوائد، الرواية منقولة عن إمامنا الصادق وعن أبي حنيفة، ماذا تقول الرواية؟ أقرأ عليكم نص الرواية: **إن أبا حنيفة أكل طعاماً مع الإمام الصادق جعفر بن مُحَمَّد عليهما السلام، فلمَّا رفع الصادق عليه السلام يدهُ من أكله قال: الحمد الله رب العالمين اللهم إن هذا منك ومن رسولك صلى الله عليه وآله، فقال أبو حنيفة: يا أبا عبد الله أجعلت مع الله شريكاً** – وهذا الكلام هو هوَ القديم الحديث – **فقال أبو حنيفة: يا أبا عبد الله أجعلت مع الله شريكاً** – إمامنا الصادق ماذا قال؟ بعد أن أكمل الطعام – **قال: الحمد الله رب العالمين اللهم إن هذا منك ومن رسولك صلى الله عليه وآله** – أبو حنيفة قال – **يا أبا عبد الله أجعلت مع الله شريكاً** – ماذا قال له الإمام الصادق؟ – **فقال له: ويلك فإن الله تعالى يقول في كتابه:**

﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ – هذه هي الآية الرابعة والسبعون من سورة التوبة – ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ – الآية تقول هكذا أن الذي أغناهم الله ورسوله – **فقال له: ويلك فإن الله تعالى يقول في كتابه:** ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ **ويقول في موضعٍ آخر** – وهي الآية التاسعة والخمسون من سورة التوبة – ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا

حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ **فقال أبو حنيفة: والله لكأني ما قرأتهما من كتاب الله ولا سمعتهما إلا في هذا الوقت، فقال أبو عبد الله عليه السلام: بلى قد قرأتهما وسمعتهما ولكن الله تعالى أنزل فيك وفي أشباهك** ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ **وقال:** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ – هذه الرواية موجودة في وسائل الشيعة لشيخنا الحر وموجودة كذلك في الجزء السادس والستين من بحار الأنوار، وموجودة في مصادر عديدة أخرى، هذه الرواية أخر رواية قرأتها على مسامعكم تنبئنا عن واقعٍ قديمٍ جديد، نفسهُ الواقع الذي نعيشهُ في أيامنا هذه.

بعد هذه الجولة في هذه النصوص التي أخترتها من هنا ومن هناك حتى أتمكن من أن يكون حديثي متناسباً مع حيثيات المطالب، فحينما أقول: **وَقادَةَ الأُمَمِ**، قيادتهم للأمم لها حيثيات متعددة، لها مظاهر متعددة لذلك جئت بالروايات من هنا ومن هناك، ولَمَّا كان الكلام عن أنهم: **أولياء النعم**، أيضاً جئتُ بالروايات وبالأحاديث من هنا ومن هناك لتعطينا صوراً لتعطينا لقطات لتعطينا بيانات عن مقامات وعن حيثيات هذا المضمون العظيم الذي أشارت إليه الزيارة الجامعة الكبيرة.

في ختام حديثي أقول: السلام عليكم سادتي يا قادة الأمم ويا أولياء النعم، سادتي آل مُحَمَّد فما شيءٌ منا،كما قرأت قبل قليل في زيارة الندبة، فما شيءٌ منا إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل، ما بنا من نعمةٍ فمنكم، ما بنا من فضل فمنكم، ما بنا من كمالٍ ومن حُسنٍ فإليكم يعود، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله بكم، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هديتمونا أنتم، وكل هذه المعاني صحيحة وواضحة ومتصلة ويشد بعضها بعضاً، فنحن منكم وإليكم، ما عندنا من حسن فهو منكم وإليكم، وما عندنا من قبحٍ ومن عِثارٍ ومن زلةٍ فهي عائدةٌ إلينا.

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلمِ، وَمُنْتَهَى الحلم، وَأُصُولَ الْكَرَمِ، وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ.

أَشْهَدُ أَنَّكُم كَذَلِك، مَا كَانَ لأوّلِكُم فَهوِ لآخِرِكُم، ومَا كَانَ لآخِرِكُم فَهوِ لأوّلِكُم، أوّلُكُم مُحَمَّد وَأوسَطُكُم مُحَمَّد وَآخِرُكُم مُحَمَّد بَلْ كُلُّكُم مُحَمَّد، أوّلُكُم عَليٌّ وأوسَطُكُم عَليٌّ وآخِرُكُم عَليٌّ بَلْ كُلُّكُم عَليٌّ.

وأنتم يا أحباب عليٍّ سلامٌ عليكم أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.

مع التحيات

المُتابَعة

زهرائيون

1433 هـ